الوثائق الرسمية

الجمعية العامة
الدورة الخمسون

الجلسة العامة ٢٠
الثلاثاء، ٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٥، الساعة ١٠/٤٠
نيويورك

الرئيس: السيد فريتاس دو أمارال (البرتغال)

افتتحت الجلسة الساعة ١٠/٤٥.

خطاب قداسة البابا يوحنا بولس الثاني

الرئيس (ترجمة شفوية عن الانكليزية): تستمع الجمعية هذا الصباح الى خطاب يلقيه قداسة البابا يوحنا بولس الثاني عن دولة الكرسي الرسولي الحاصلة على مركز المراقب، بمناسبة الذكرى السنوية الخمسين لإنشاء الأمم المتحدة.

اصطحب رئيس الجمعية العامة والأمين العام قداسة البابا يوحنا بولس الثاني الى داخل قاعة الجمعية العامة.

الرئيس (ترجمة شفوية عن الانكليزية): قداسة البابا، هذه هي المرة الثانية التي تتشرف فيها الجمعية العامة للأمم المتحدة بحضوركم. وإنه لشرف عظيم لي أن أرحب بقداستكم هنا اليوم، حيث يسبغ وجودكم تكريما فائقا لمنظمتنا في عيدها الخمسين.

إنكم يا قداسة البابا، قمتم بأسفار الى كل أركان المعمورة، تفوق ما قام به أي ممن سبقوكم، تحدوكم في ذلك الرغبة في أن تجلبوا الى كل منها، بل حتى الى أقصى الأماكن النائية، رسالة السلام والتفاهم والتسامح والعدل بين البشر. وزيارتكم التي تقومون بها هنا اليوم، فيها أكثر من مجرد معنى الاحتفال بيوبيل الأمم المتحدة، فهي تنطوي قبل كل شيء على علامة تشجيع قوي لأنشطة هذه المنظمة.

وعلى مدار السنوات الـ ٥٠ التي انقضت منذ إنشائها، صارت الأمم المتحدة تؤمن بأن مثل السلام والأخوة لكي تضرب بجذورها عميقا بين البشر لا بد أن تستند الى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فضلا عن إيلاء العدالة مركز الصدارة. وفي جميع هذه الميادين، اضطلعت الأمم المتحدة بمهامها بدأب وتفان، وبأفضل القدرات الإنسانية. ولم يتسن لها تحقيق النجاح والإنجاز في جميع الأحوال. بيد أنه لا غرابة في ذلك إذا أخذنا في الاعتبار الصعوبات وهي كثيرة والوسائل وهي في معظم الحالات قليلة.

وبالرغم من ذلك، فإن المثل هي التي تبقى على الدوام، وتعطينا القوة من أجل الاستمرار. وبمناسبة الذكرى السنوية الخمسين هذه، التي هي مناسبة

يتضمن هذا المحضر النص الأصلي للخطب الملقاة بالعربية والترجمات الشفوية للخطب الملقاة باللغات الأخرى. وينبغي ألا تقدم التصويبات إلا للخطب الأصلية. وينبغي إدخالها على نسخة من المحضر وإرسالها بتوقيع أحد أعضاء الوفد المعني خلال أسبوع واحد من تاريخ النشر إلى: Chief of the Verbatim Reporting Service, Room C-178. وستصدر التصويبات بعد نهاية الدورة في وثيقة تصويب واحدة.

95-86218
9586218

للاحتفال، غير أنها وقت للتأمل أيضا، نحن نواجه انتقادات عديدة تتعلق بشكل وأداء منظمتنا. وينبغي لنا مراعاة هذه الانتقادات، إلا أننا يجب ألا نسمح لها بشل أنشطتنا من أجل منفعة البشرية.

(تكلم بالفرنسية)

وفي حين كانت الأخطاء والإخفاقات عديدة خلال السنوات الخمسين التي انقضت من عمر الأمم المتحدة - وهذا يصدق حتما على كل مؤسسة - فإن الفوائد والنجاحات والانتصارات التي تحققت خلال ذلك الوقت كانت عديدة أيضا. ففي كل نجاح تحقق في مجالات الصحة، وتوفير العدالة لليد العاملة، وحماية الطفل، ومساندة اللاجئين ونشر الثقافة وضمان السلم، لم تكن الأمم المتحدة هي وحدها التي أوفت بالتزاماتها وبررت وجودها. بل إن البشرية نفسها هي التي أضحت أكثر غنى ونبلا ومجدا، لأن أحدا، باسمها، قام بعمل صالح دون أن يتوقع شيئا في المقابل.

وكما يمكنكم أن تروا يا قداسة البابا، ففي هذه القاعة يجلس ممثلون من جميع بلدان العالم تقريبا، ينتمون الى مجموعات إثنية ودينية متباينة غاية التباين. إلا أنهم جميعا يوحدهم احترامهم لقداستكم والاهتمام الذي سيولونه الى كلماتكم. وأعتقد أن سبب هذا هو المثال الذي ضربتموه خلال مدة توليكم لمنصب البابوية: مثال الاستعداد الكامل للإقدام على الالتقاء بجميع من يسعون صادقين الى تحقيق الإمكانيات الشاملة للبشرية وثراء الوجود الإنساني، روحيا وماديا.

(تكلم بالانكليزية)

وفي الختام، أود أن أعرب عن أمنية لي: وهي أن تظل كلمات استخدمتموها قداستكم أمام هذه الجمعية قبل ١٦ عاما سارية اليوم وطوال السنوات الخمسين القادمة، فقد قلتم:

"آمل أن تبقى منظومة الأمم المتحدة دائما المنبر الأعلى للسلام والعدالة ومقر حقيقي لحرية الشعوب والأفراد في توقهم الى مستقبل أفضل. (الوثائق الرسمية للأمم المتحدة، الدورة الرابعة والثلاثون، الجلسات العامة، الجلسة ١٧، ص ٣٢)

وأعطي الكلمة الآن للأمين العام.

الأمين العام (ترجمة شفوية عن الانكليزية): إن الروحانية هي أعظم عطية للبشرية. فجميع الشعوب قد لامس الإيمان شغاف قلوبها. والإيمان بحقيقة أسمى يوفر رباطا بين الأمم. إلا أن الأهوال التي نشهدها اليوم تنطوي على إنكار للقيم الروحية. والأمثلة المروعة في كل قارة تفيدنا بأن إنكار طبيعتنا الروحانية يعني الانتقاص من إنسانيتنا؛ ونسيان إلهنا.

ثمة أزمة تجتاح الروح الإنسانية. وهي مسؤولة عن العديد من المشاكل الرئيسية في أيامنا. ويجب علينا أن نتيح للشعوب أن تسترد إيمانها. والأمم المتحدة أنشئت كرباط يجمع بين الشعوب والدول. ولا غنى عن الأمم المتحدة إذا كان للإنسانية أن تعيد بناء قواعدها الروحية.

وإن حضور قداسة البابا لتذكرة بالبعد الروحي للأمم المتحدة. لقد أنشئت الأمم المتحدة كي يقهر الأمل هول الحرب، وأنشئت كي تتمكن الرحمة - الرحمة التي تتشاطرها جميع الأديان - من قهر اليأس الكامن في الفقر والمرض والظلم. والأمل يمكننا من مواصلة مهمتنا تحت أقسى الظروف. والإيمان يمكننا من مواصلة الحوار، ومتابعة التفاوض، حتى عندما تبدو الحالة وكأن لا أمل فيها. والمحبة تمكننا من مواصلة التنمية، ومد أيدينا للأقل حظا من أشقائنا وشقيقاتنا.

لقد تعمق قداسة البابا يوحنا بولس الثاني في تأمل المسائل المعقدة لزماننا. ورسالته الى أسرة الأمم تصل الينا بوضوح واقتناع. إن رسالته هي من طراز الرؤية الشاملة التي نحتاجها اليوم. فكل شيء له أهميته. وبين كل شيء، قريبا كان أو بعيدا رباط يجمعه بغيره. وكل ما نفعله إنما نفعله اعترافا بأن عملنا يتم بوحي من شيء أعظم بكثير من أنفسنا.

ومعنا اليوم من شعر بهذه المسائل في أعماق الروح، وعبر عن جوهرها للعالم. إنه يفرح معنا، مثل ملاك الجنة، ويدعونا "ألا نخاف". إنه يقول لنا إن بإمكاننا، بل يجب علينا، أن نقهر الخوف إذا كان لنا أن نجد حلا لمشكلات كوكبنا وأهله.

ونحن جميعا الذين يخدمون الأمم المتحدة نرحب في هذه القاعة بقداسة البابا يوحنا بولس الثاني.

الرئيس (ترجمة شفوية عن الانكليزية): والآن أدعو قداسة البابا يوحنا بولس الثاني إلى مخاطبة الجمعية العامة.

قداسة البابا يوحنا بولس الثاني (ترجمة شفوية عن الانكليزية): إنه لشرف لي أن تتاح لي الفرصة لمخاطبة هذه الجمعية الدولية، وأن أشارك الرجال والنساء من كل بلد وعرق ولغة وثقافة في الاحتفال بالذكرى السنوية الخمسين لتأسيس الأمم المتحدة.

وأود أن أعرب عن امتناني القلبي في المقام الأول للأمين العام، السيد بطرس بطرس غالى، على تشجيعه الحار لهذه الزيارة. وأشكركم، السيد الرئيس، على ترحيبكم القلبي، وأحييكم جميعا، أعضاء هذه الجمعية العامة؛ وإنني لممتن لكم على حضوركم وعلى اهتمامكم الكريم.

على أعتاب الألف سنة الجديدة نشهد تسارعا شاملا وخارقا للعادة لذلك السعي نحو الحرية، الذي هو أحد أعظم ديناميات تاريخ الإنسان. وهذه الظاهرة لا تقتصر على شطر واحد من العالم ولا هي تعبير عن ثقافة واحدة. فالرجال والنساء في كل مكان في العالم يجابهون مخاطر الحرية، حتى تحت تهديد العنف، مطالبين بمكان لهم في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، مكان يتناسب مع كرامتهم كآدميين أحرار. وهذا التوق العالمي إلى الحرية هو بحق من الخصائص التي يتميز بها زماننا.

ومن المهم لنا أن نحاول فهم ما يمكن أن نسميه بالتركيبة الداخلية لهذه الحركة العالمية. ذلك أن طابعها الكوني هو بالتحديد الذي يقدم لنا مفتاحها الأول والأساسي، ويؤكد الوجود الفعلي لحقوق إنسانية عالمية تترسخ جذورها في طبيعة الإنسان، حقوق تعكس متطلبات موضوعية لها حرمتها نابعة من قانون أخلاقي كوني. هذه ليست أفكارا مجردة. بل إن هذه الحقوق، بالأحرى، تجعلنا ندرك شيئا هاما عن واقع حياة كل فرد وكل مجموعة في المجتمع. وهي أيضا تذكرنا بأننا لا نعيش في عالم بلا منطق أو مغزى. فعلى العكس من ذلك، هناك منطق أخلاقي متأصل في الحياة الإنسانية، منطق يجعل من الممكن قيام حوار بين الأفراد والشعوب. وإذا كنا نريد لقرن من العنف والقسر أن يخلفه قرن من الإقناع، فعلينا أن نجد سبيلا إلى مناقشة مستقبل الإنسان بلغة مفهومه. والقانون الأخلاقي الشامل المكتوب في قلب الإنسان هو بالتحديد الأساس اللغوي اللازم لدخول العالم في هذا الحوار حول مستقبله.

وقد تجلت الديناميات الأخلاقية لهذا المسعى الشامل إلى الحرية، في أوروبا الوسطى والشرقية في عام ١٩٨٩ إبان الثورات الخالية من العنف. ومع ذلك، كانت تلك الأحداث التاريخية التي وقعت في فترات معينة وأماكن معينة بمثابة درس تجاوز بكثير حدود موقع جغرافي محدد. فقد برهنت ثورات عام ١٩٨٩ الخالية من العنف على أن السعي إلى الحرية لا يمكن قمعه، لأنه نابع من اعتراف بما للشخص البشري من كرامة وقيمة لا تقدران بثمن. ولأنه لا بد من أن يكون مقرونا بالتزام من جانب الشخص البشري. والأنظمة الشمولية الحديثة كانت، أولا وأخيرا، اعتداء على كرامة الإنسان، اعتداء وصل إلى حد إنكار القيمة الثابتة لحياة الفرد. وقد قامت ثورات ١٩٨٩ بفضل التزام رجال ونساء شجعان ألهمتهم رؤية مختلفة، رؤية كانت في نهاية المطاف أكثر عمقا وقوة: رؤية للإنسان كمخلوق ذي فطنة وإرادة حرة، يغمره سر يسمو على وجوده ذاته، ووهب القدرة على التأمل والقدرة على الاختيار، وبذلك يكون قادرا على الحكمة والفضيلة. وكان العامل الحاسم في نجاح تلك الثورات غير العنيفة هو المرور بتجربة التضامن الاجتماعي؛ في وجه نظم تستند إلى قوة الدعاية والرعب كان ذلك التضامن هو الجوهر الأدبي لسلطة من لا سلطة له، ونبراس أمل وتذكرة دائمة بأن بوسع الإنسان، في رحلته التاريخية، أن يتبع الطريق الصحيح الذي يحقق أنبل تطلعات الروح الإنسانية.

إن السعي إلى الحرية في النصف الثاني من القرن العشرين لم يشمل الأفراد فحسب بل الأمم أيضا. وبعد خمسين سنة من انتهاء الحرب العالمية الثانية، من المهم أن نتذكر أن تلك الحرب نشبت بسبب انتهاكات حقوق الأمم. ومن المؤسف أنه حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ظلت حقوق الأمم تنتهك. ولنأخذ، على سبيل المثال، دول البلطيق والأراضي الشاسعة من أوكرانيا وبيلاروس التي ضمت إلى الاتحاد السوفياتي، أسوة بما حدث من قبل لأرمينيا وأذربيجان وجورجيا في منطقة القوقاز. وفي الوقت ذاته، فإن الكيانات التي سميت بالديمقراطيات

الشعبية في أوروبا الوسطى والشرقية فقدت سيادتها عمليا، وطلب منها أن تخضع للإرادة المسيطرة على الكتلة بأكملها. ونتيجة هذا التقسيم المصطنع لأوروبا كانت الحرب الباردة، وهي حالة من التوتر الدولي ظل فيها التهديد بكارثة نووية يحلق فوق رؤوس البشر. وعندما استعادت أمم أوروبا الوسطى والشرقية حريتها، وعندهـــا فقط، فإن وعد السلام الذي كان لا بد أن يأتي في نهاية الحرب، بدأ يتحقق للكثيرين من ضحاياها.

إن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي صدر في عام ١٩٤٨، تطرق بشكل بليغ إلى مسألة حقوق الأشخاص، ولكن ليس هناك حتى الآن اتفاق دولي مماثل يتناول بطريقة ملائمة حقوق الأمم. لا بد، إذن، من تفحص هذا الأمر نظرا للمسائل الملحة التي يثيرها بشأن العدالة والحرية في عالم اليوم. ولا شك في أن دراسة هذه الحقوق ليس بالأمر السهل خصوصا إذا ما نظرنا إلى صعوبة تحديد مفهوم "الأمة" ذاته، وهو مفهوم لا يتطابق بداهة أو بالضرورة مع مفهوم الدولة. على كل حال، لا بد أن نقوم بهذه الدراسة إذا ما أريد فعلا تفادي أخطاء الماضي ووضع نظام عالمي جديد.

إن أساس الحقوق الأخرى للأمة هو، دون أي شك، الحق في الوجود: لا أحد إذن - دولة كان أم أمة أو منظمة دولية - بإمكانه القول إن أمة أخرى لا تستحق الوجود. إن هذا الحق الأساسي في الوجود يعني ضمنا طبعا أن لكل أمة أيضا الحق في اللغة والثقافة الذاتية التي من خلالها يعبر الشعب عن ما أسميه سيادته الروحية الأصيلة وينميها. لقد برهن التاريخ في بعض الحالات القصوى، كما حصل في البلد الذي ولدت فيه، على أن الثقافة الذاتية هي التي تمكن الأمة من البقاء بعد فقدان استقلالها السياسي والاقتصادي. إن لكل أمة، بالتالي، الحق أيضا في تكييف حياتها وفقا لتقاليدها الذاتية على أن يستبعد من ذلك بالطبع كل خرق للحقوق الإنسانية الأساسية، وبالأخص، اضطهاد الأقليات. إن لكل أمة الحق في بناء مستقبلها عن طريق توفير التعليم اللازم للأجيال الفتية.

(تكلم بالفرنسية)

لقد أتيح لي في السنوات السبع عشرة الأخيرة، خلال زياراتي الرعويـــة وسط جماعات الكنيسة الكاثوليكية، التحاور مع التنوع الغني للأمم والثقافات في أنحاء مختلفـــة من العالـــم. لكن العالم، للأسف، لم يتعلم بعد التعايش مع هذا التنوع، كما تذكرنا الأحداث المأساوية الأخيرة في منطقتي البلقان وافريقيا الوسطى. وقد يحصل في بعض الأحيان أن يعتبر وجود "الفارق" وواقع "الآخر" عبئا بل تهديدا. وقد يؤدي الخوف من "الفارق"، إذا ما غذاه الشعور بظلم تاريخي، وسبب تفاقمه تلاعب عديمي الضمير به، الى رفض القبول بإنسانية الآخر، مما يجر الناس إلى حلقة عنف لا تدخر أحدا، ولا حتى الأطفال. إن أمثال هذه الأوضاع أصبحت معلومة اليوم لدى الجميع؛ وإن قلبي وصلاتي ليتجهان الآن بشكل خاص نحو معاناة سكان البوسنة والهرسك الذين يمرون بتجربة أليمة.

إذن، لقد علمتنا التجربة المرة أن الخوف من "الفارق"، خصوصا إذا ما تم التعبير عنه بروح قومية ضيقة وحصرية ترفض كل حق "للآخر"، قد يوصل إلى كابوس حقيقي مادته العنف والرعب. على أننا إذا بذلنا الجهد اللازم لتفحص الأمور. بموضوعية أمكننا أن نرى رابطا مشتركا أساسيا يتجاوز كل الفروق المميزة بين الأفراد والشعوب، فالثقافات المختلفة إنما هي مجرد وسائل متنوعة لمواجهة سؤالنا عن معنى الوجود الشخصي. وهنا بالذات، نكشف عن مصدر الاحترام الواجب تجاه كل ثقافة وكل أمة: إن كل ثقافة هي محاولة للتأمل في سر العالم وبالأخص في سر الإنسان؛ وهي وسيلة للتعبير عن البعد المتسامي للحياة البشرية. ولب كل ثقافة هو نهجها في الاقتراب من أعظم الأسرار: سر الله.

إن احترامنا لثقافات الآخرين يتأصل بذلك في احترامنا لسعي كل مجتمع لإعطاء جواب لمسألة الحياة البشرية. في هذا الإطار نرى مدى أهمية حماية الحق الأساسي في الحرية الدينية وحرية الضمير باعتبارهما حجر الأساس في صرح الحقوق الإنسانية وركيزة كل مجتمع حر حقا. وليس لأحد أن يخنق هذه الحقوق باستخدام سلطة القسر لفرض جواب معين على سر الإنسان.

لا بد أيضا من إيضاح الفارق الجوهري بين نوع غير سليم من القومية، يدعو إلى احتقار الأمم المتحدة أو الثقافات الأخرى، وبين الوطنية، وهي الحب السليم للوطن. إن الوطنية الحقة لا تسعى أبدا إلى خير أمة المرء على حساب الآخرين. فذلك في النهاية يضر

بأمة المرء كذلك: ففعل السوء يضر بالمعتدي وبالضحية معا. إن القومية، وخصوصا في تعابيرها الأكثر تطرفا، إنما هي النقيض التام للوطنية الحقة. ولا بد لنا اليوم من العمل كي لا تستمر القومية المفرطة في إيجاد أشكال جديدة من انحرافات الأنظمة الشمولية.

الحرية هي مقياس كرامة الإنسان وعظمته. إن التمتع بالحرية الذي يسعى إليه الأفراد والشعوب تحد كبير لنمو الإنسان الروحي ولحيوية الأمم الأخلاقية. والمسألة الأساسية الواجب مواجهتها اليوم هي الاستخدام المسؤول للحرية في بعديها الشخصي والاجتماعي. ولا بد والحال كذلك أن نتجه بأفكارنا إلى مسألة الهيكل الأخلاقي للحرية الذي هو الصرح الداخلي لثقافة الحرية.

الحرية ليست مجرد غياب الاستبداد أو القمع. كذلك ليست الحرية رخصة لكي نفعل أي شيء نشاء. إنما للحرية منطق باطني يضفي عليها بهاء ونبلا؛ والحرية تخضع للحقيقة، وتتحقق في عملية بحث الإنسان عن الحقيقة وتطبيقها. وإذا ما انفصلت الحرية عن حقيقة الشخص البشري فإنها تتدنى لتصبح رخصة في حياة الأفراد، وفي الحياة السياسية تصبح هوى الأقوي وغطرسة المختال بالسلطة. ولهذا فإن العودة إلى قضية حقيقة الإنسان لا تشكل قيدا على الحرية أو تهديدا لها - وهي حقيقة تلتمس في كل مكان من خلال النظام الأخلاقي المدون في قلوب الجميع - بل تشكل في الواقع ضمانا لمستقبل الحرية.

وفي ضوء ما قلت، نفهم كيف أن مذهب المنفعة، وهو مذهب يحدد أخلاقية الأمر ليس استنادا إلى ما فيه من الخير بل إلى ما يدره من المنفعة، يشكل تهديدا لحرية الأفراد والأمم، ويحول دون بناء ثقافة قوامها الحرية حقا. وكثيرا ما تكون لمنحى المنفعة مآرب سياسية مدمرة، لأنه يوحي بنعرة قومية عدوانية ترى على سبيل المثال أن إخضاع أمة أصغر أو أضعف أمر حسن لأنه يتجاوب مع المصلحة القومية. وليس أقل من ذلك خطورة نتائج النفعية الاقتصادية التي تدفع الدول القوية إلى التلاعب بالدول الضعيفة واستغلالها.

إن الاستبداد القومي والاستبداد الاقتصادي يتحدان أحيانا، وهي ظاهرة كثيرا جدا ما اتسمت بها العلاقات بين الشمال والجنوب. وبالنسبة للبلدان الناشئة كثيرا ما يقترن الاستقلال السياسي بحالة من الاعتماد الاقتصادي الفعلي على بلدان أخرى. ولا بد من التأكيد على أن مثل هذه الأوضاع إنما هي أوضاع ينكرها ضمير الإنسانية وأنها تنطوي على تحد أخلاقي هائل للأسرة البشرية.

(تكلم بالروسية)

إن المسرح الاقتصادي الدولي يحتاج إلى أخلاقيات التضامن، حتى يتسم مستقبل البشرية بالمشاركة والنمو الاقتصادي والتوزيع العادل للخيرات. وإن تحقيق التعاون الدولي الذي يدعو إليه ميثاق الأمم المتحدة.

"على حل المسائل الدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية"

لا يصح أن ينظر إليه على أنه يتمثل حصرا في المساعدات والإعانات أو حتى من زاوية المردود الذي ستحققه في نهاية المطاف الموارد المقدمة. فحين يعاني ملايين البشر من الفقر الذي يعني الجوع وسوء التغذية والمرض والأمية والتخلف لا يكفي أن نذكر أنفسنا بأنه ليس لأحد الحق في استغلال الآخرين لمنفعته الشخصية بل يتوجب علينا أيضا، وقبل كل شيء، أن نجدد العهد بالالتزام بذلك بالتضامن الذي يمكن الآخرين أن يعيشوا، في الواقع الفعلي لحياتهم الاقتصادية والسياسية، ذلك الإبداع الذي يميز الشخص البشري والذي يعد المصدر الحقيقي لثراء الأمم في العالم المعاصر.

(تكلم بالأسبانية)

أمام هذه التحديات الضخمة، كيف لنا ألا نقر بدور الأمم المتحدة؟ إن الأمم المتحدة لابد أن تسمو أكثر فأكثر عن مركز المؤسسة الإدارية التي لا تتحرك لها المشاعر لتصبح مركزا أخلاقيا ترتاح إليه جميع أمم العالم وتنمي فيه وعيا مشتركا بكونها، إذا جاز لي القول، أسرة للأمم. إن لفظة "الأسرة" تثير في النفس بمجرد ذكرها مفهوما يتجاوز مجرد العلاقات الوظيفية أو مجرد تلاقي المصالح. إن الأسرة بطبيعتها مجتمع يقوم على الثقة المتبادلة والدعم المتبادل والاحترام

الصادق. وفي العائلة الصحيحة لا يسيطر القوي على الضعيف بل يجد الأعضاء الضعفاء، بسبب ضعفهم ذاته، ترحيبا أكبر وعناية أكبر.

فإذا ما ارتقت إلى مستوى أسرة للأمم، وجب أن تكون هذه المشاعر، قبل أحكام القانون نفسها، النسيج الذي تتألف من خيوطه العلاقات بين الشعوب. وللأمم المتحدة مهمة تاريخية، بل مهمة بالغة الخطورة هي تشجيع هذه القفزة النوعية في الحياة الدولية، لا بكونها مركزا فعالا للوساطة من أجل حل الصراعات فحسب، وإنما أيضا بتعزيز القيم والتصرفات ومبادرات التضامن العملية القادرة على رفع العلاقات بين الأمم من المستوى التنظيمي إلى المستوى العضوي، من مجرد التواجد مع الآخرين إلى الوجود من أجل الآخرين في ظل تبادل مثمر للمواهب يعود بالخير على الأمم الضعيفة في المقام الأول، ويؤذن في الوقت نفسه بخير أعم للجميع.

ولا يبدو كل هذا وهما يتعذر تحقيقه. فالوقت الآن هو وقت أمل جديد يدعونا إلى تخليص مستقبل السياسة وحياة البشر من الشلل الذي تولده روح الاستخفاف بالقيم والشك في إمكان إصلاح الأمور. وإلى هذا تدعونا الذكرى التي نحتفل بها، إذ تذكرنا بفكرة "الأمم المتحدة" وهي فكرة تتحدث ببلاغة عن الثقة المتبادلة والأمن والتضامن. وإننا إذ نسترشد بمثال جميع أولئك الذين أخذوا على عاتقهم مخاطر الحرية، ألا يكون بوسعنا أن نلزم أنفسنا مجددا بقبول مخاطر التضامن، وبالتالي مخاطر السلام؟

إن من أكبر مفارقات زمننا أن الإنسان الذي بدأ الفترة التي نسميها بـ "العصر الحديث" بشعور بالثقة ببلوغه مرحلة النضج والاستقلال الذاتي، يقترب من نهاية القرن العشرين خائفا من ذاته، وخائفا مما هو قادر على فعله، وخائفا من المستقبل. وفي الواقع، كان النصف الثاني من القرن العشرين شاهدا على ظاهرة لا سابق لها، أي ظاهرة جنس بشري لم يعد مطمئنا حتى إلى احتمال وجود أي مستقبل له، نظرا لتهديد الحرب النووية. ويبدو أن ذلك الخطر قد ابتعد والحمد لله، ولابد أن يقابل بالرفض العالمي القاطع كل ما من شأنه أن يسمح بعودته. إلا أن الخوف على المستقبل ومن المستقبل يبقى موجوداً.

وبغية كفالة أن يشهد فترة الألف عام الجديدة التي نطرق الآن أبوابها ازدهارا جديدا للروح البشرية، ترافقه ثقافة أصيلة للحرية، لابد للرجال والنساء أن يتعلموا كيف يتغلبون على الخوف. ولا بد أن نتعلم ألا نخاف؛ وأن نستعيد روح الأمل وروح الثقة. والأمل ليس تفاؤلا فارغا ينبع من ثقة واهية بأن المستقبل سيكون بالضرورة أفضل من الماضي. والأمل والثقة هما مقدمة لنشاط مسؤول، وهما يستمدان الغذاء من المحراب الداخلي، أي الضمير الذي فيه "يلقى الإنسان الله وحده"، وبالتالي يدرك أنه ليس لوحده بين ألغاز الوجود لأن محبة الخالق ترافقه.

وقد يبدو أن الأمل والثقة مسألتان خارجتان عن دائرة الأمم المتحدة. لكن الواقع مختلف. إذ أن سياسات الدول التي هي موضع اهتمام هذه المنظمة الأساسي، لا يمكن أبدا أن تتجاهل البعد المتسامي والروحي للتجربة البشرية، وهي لا تملك أبدا أن تتجاهله دون أن تلحق الأذى بقضية الإنسان وقضية الحرية البشرية. إن كل ما ينتقص من الإنسان إنما يضر بقضية الحرية. وبغية أن نستعيد أملنا وثقتنا في نهاية قرن الآلام هذا، لا بد لنا من أن نسترجع رؤية ذلك الأفق المتسامي الذي تتطلع إليه الروح البشرية.

ولا يسعني، بوصفي مسيحيا، إلا أن أؤكد على أن أملي وثقتي يستندان إلى يسوع المسيح، الذي سنحتفل فجر الألف عام الجديد بمرور ألفي سنة على ميلاده. ونحن المسيحيين نؤمن بأن الاعلان الكامل لمحبة الله وعنايته بالخليقة كلها تم في موت المسيح وقيامته. ويسوع المسيح هو بالنسبة لنا الله الذي صار إنسانا، ودخل تاريخ البشرية. ولهذا السبب بالذات، فإن الرجاء المسيحي حيال العالم ومستقبله يشمل كل شخص بشري. فلا نقاوة بشرية إلا وتجد صدى لها في قلب المسيحيين. وهكذا، وإذ نقترب من الألف الثاني على ميلاد المسيح، ليس للكنيسة مطلب سوى أن تتمكن من تقديم رسالة الخلاص هذه باحترام، وأن تتمكن من تعزيز تضامن الأسرة البشرية بأسرها بروح المحبة والخدمة.

وعلينا أن نتغلب على خوفنا من المستقبل. ولكن لن نتمكن من التغلب عليه تماما إلا إذا فعلنا ذلك معا. والجواب على ذلك الخوف ليس الارغام ولا القمع، ولا فرض نموذج اجتماعي واحد على العالم بأسره. والجواب على الخوف الذي يكدر الوجود البشري في

نهاية القرن العشرين هو الجهد المشترك لبناء حضارة المحبة، التي تقوم على القيم العالمية قيم السلام والتضامن والعدالة والحرية. وروح حضارة المحبة هي ثقافة الحرية: حرية الأفراد وحرية الأمم، المعاشة في تضامن معطاء وروح المسؤولية.

علينا ألا نخاف من المستقبل. علينا ألا نخاف من الإنسان، وليس من قبيل الصدفة أن نوجد هنا اليوم. فكل إنسان وكل شخص قد خلق على صورة ومثال من هو أصل جميع المخلوقات. ولدينا قدرة الحكمة والفضيلة، وبهذه المواهب وبعون من نعمة الله يمكننا أن نبني في القرن المقبل وفي الألف المقبل حضارة تليق بالإنسان وثقافة الحرية الحقة. واننا نستطيع ويتوجب علينا أن نفعل ذاك. وإذا فعلنا ذلك سندرك أن دموع هذا القرن قد أعدت التربة لربيع جديد للروح البشرية.

(تكلم بالإنكليزية)

أود أن أتوجه بتحية بسيطة باللغتين العربية والصينية.

(تكلم بالعربية)

فلتساهم الأمم المتحدة في بناء السلام الحق وازدهار الأسرة البشرية.

(تكلم بالصينية)

أتمنى لكل شعوب العالم الحرية والسلام والتعايش السلمي.

(تكلم بالفرنسية)

عسى أن يعيش الجميع في كرامة وحرية وسلام حقيقي.

الرئيس: (ترجمة شفوية عن الانكليزية): باسم الجمعية العامة أعبر عن تقديرنا العميق لقداسة البابا يوحنا بولس الثاني على بيانه الهام والملهم.

اصطُحِب الرئيس والأمين العام قداسة البابا يوحنا بولس الثاني إلى خارج قاعة الجمعية العامة.

رفعت الجلسة في الساعة ١١/٥٠